

ميدل إيست مونيتور: أكتوبر يحبنا ونحن نحب أكتوبر

الجمعة 11 أكتوبر 2024 09:50 م

لقد مرت واحد وخمسون عامًا على حرب أكتوبر التي كانت نقطة تحول في تاريخ الشعب العربي ولحظة حاسمة في نضالنا ضد العدو الصهيوني، حيث عبرنا من الهزيمة إلى النصر، ومن الذل إلى الكبرياء. عبر الجنود المصريون قناة السويس، وهدموا خط بارليف، وحرروا مئات الكيلومترات شرق القناة في طريقهم إلى التحرير الكامل لسيناء من الاحتلال الإسرائيلي. وزعمت إسرائيل أن خط بارليف - تحصيناتها على الضفة الشرقية للقناة في سيناء - لا يمكن تدميره إلا بقنبلة ذرية. وقد عبره الجيش المصري في ست ساعات. وكان ذلك النوع من العمل العسكري الذي لا يزال يدرس في الكليات العسكرية في مختلف أنحاء العالم. حطم جنود مصر أسطورة جيش الدفاع الإسرائيلي الذي لا يقهر، مما دفع رئيسة الوزراء جولدا مائير إلى طلب المساعدة من الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون قبل أن تضع إسرائيل.

"وفي أثناء الليل"، كتبت مائير في مذكراتها "حياتي": "واصل المصريون ضخ قواتهم عبر القناة، وتمكن السوريون من اختراق الخطوط الأمامية لممرتفات الجولان".

وقالت، إن السؤال الذي نشأ هو ما إذا كان ينبغي للنظام الإسرائيلي أن يخبر الناس بمدى سوء الوضع أم لا. وقال وزير الدفاع موشيه ديان آنذاك لرؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية إن الدولة الصهيونية تدفع ثمنًا باهظًا كل يوم من أيام الحرب. وكان جيش الدفاع الإسرائيلي يخسر عشرات الطائرات والطارين والمعدات ومئات الدبابات كل يوم. وسقطت بعض هذه الدبابات في أيدي المصريين، فضلاً عن المركبات المدرعة والمدفعية والطاقم. وذكر ديان أيضاً أن المصريين عبروا القناة بعدد من الدبابات والمركبات المدرعة أكبر مما كان لدى جيش الدفاع الإسرائيلي في شبه الجزيرة. وأوضح أن القوات الإسرائيلية انسحبت من خط بارليف بسبب شدة الهجوم المصري، وأنها لا تملك القوة لطرد المصريين الذين دمروا الخط. واعترف ديان بأن أهم شيء بالنسبة لهم وللعالَم هو أنه أصبح من الواضح أن القوات الإسرائيلية ليست أقوى من القوات المصرية، وأن جو التفوق الإسرائيلي قد انتهى إلى الأبد.

وأضاف ديان أن النظرية الإسرائيلية القائلة بأن العرب إذا أعلنوا الحرب على إسرائيل فسيهزمون في غضون ساعات قد ثبت خطأها أيضاً. وأشار إلى أن الإسرائيليين يجب أن يفهموا أنهم لا يستطيعون الاستمرار في الاعتقاد بأنهم القوة العسكرية الوحيدة في الشرق الأوسط ويجب أن يدركوا أن هناك حقائق جديدة على الأرض وأنهم مضطرون للتعايش مع هذه الحقائق الجديدة.

كان هذا هو الوضع في سيناء في بداية الحرب، استناداً إلى المعارك التي دارت، وفقاً لقادة الصهانية أنفسهم. ولولا التدخل الأمريكي المباشر بالطائرات والدبابات والمعدات العسكرية الأخرى التي هبطت مباشرة في سيناء لتعزيز جيش الدفاع الإسرائيلي، لكانت مصر قد استعادت شبه الجزيرة بالكامل ولما احتاجت إلى مفاوضات سلام لإعادتها إلى السيادة المصرية.

تغير مسار الحرب، وتغير العدو، فأصبحت مواجهة مع الولايات المتحدة، وليس إسرائيل. وقال أنور السادات آنذاك: "كنا نحقق النصر الكامل لولا تدخل الولايات المتحدة ضدنا في الحرب. لا أستطيع أن أحارب الولايات المتحدة، فأنا أخاف على أطفالي".

لم يكن بوسع الجنرالات الصهانية، تحت أي ظرف من الظروف، أن يقبلوا بأن تنتهي الحرب بهزيمة ساحقة لجيشهم. رفضت غطرستهم السماح بذلك، فبدأوا في بناء جسر بملء قسم من قناة السويس عند الدفرسوار كرد على إنجازات الجيش المصري في الأيام الأولى من الحرب. هذه قضية شائكة يكتنفها الكثير من الغموض. تعامل الصهانية معها وكأنها انتصار لهم، بينما تعامل السادات معها باعتبارها عملية دعائية تلفزيونية لا أكثر.

رأى العديد من المحللين أن هذا قد كلف الجيش الصهيوني الكثير مالياً وعسكرياً، وعرض قواته للخطر بينما لم يكسب في المقابل سوى بعض القيمة الدعائية ورفع الروح المعنوية قليلاً. ورأى البعض الآخر أن هذه الضربة كانت بمثابة ضربة موجعة للجيش المصري ألقت بظلالها على انتصاراته المبهره في بداية الحرب.

وقد دعا مؤتمر السلام الذي عقد بعد ذلك وقرار الأمم المتحدة رقم 338 بتاريخ 22 أكتوبر 1973 إلى تسوية سلمية من خلال المفاوضات. وكان هذا هو المسار الذي أدى إلى مفاوضات كامب ديفيد في عام 1978، ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل التي تم توقيعها في 26 مارس 1979.

وغير هذا من وجه الصراع العربي الإسرائيلي، وشهد جهوداً لتحرير فلسطين بالحبر على المعاهدات بدلاً من الرصاص والدم. ووقع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات على اتفاقات أوسلو في عام 1993، ثم اتفاقية وادي عربة بين الأردن وإسرائيل في 26 أكتوبر 1994. وبدأ الرئيس السوري حافظ الأسد المفاوضات مع رئيس الوزراء الصهيوني إسحاق رابين في عام 1995، وبدأ الحكام العرب في التقرب من دولة الاحتلال.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن السادات دعا السلطة الفلسطينية والسعودية وسوريا والأردن لحضور مؤتمر مينا هاوس في القاهرة في ديسمبر 1977 لمناقشة وحل مشاكل الحل فيما يتعلق بالقدس وقضية اللاجئين الفلسطينيين، لكنهم لم يحضروا. ورفع العلم الفلسطيني، بينما ظل المقعد الفلسطيني خالياً.

ذهب السادات إلى سوريا وقابل حافظ الأسد وطلب منه الانضمام إلى مؤتمر السلام في جنيف لاسترداد الجولان، لكنه رفض وهاجمه ببقية الحكام العرب، وشن حملة شرسة على السادات واتهمه بالخيانة بعد زيارته لإسرائيل وخطابه في الكنيست، البرلمان الإسرائيلي. وقاطعت الدول العربية مصر وعلقت عضويتها في الجامعة العربية، ونقلت مقرها إلى تونس.

والآن تسير تلك الدول على نفس الطريق الذي رفضت أن تسير عليه مع السادات لتكون جبهة قوية في المفاوضات ضد الكيان الصهيوني بدلاً من الذهاب إليه منفرداً، بحيث يعزل كل منها عن الأخرى. لقد فضلت آنذاك أن تكون جبهة "صمود ومواجهة" وتهاجم السادات، لكننا لم نر بوادى ذلك عندما تعلق الأمر بتحرير الأرض. وبعد عقود من الزمان، ما زالوا يركضون إلى الصهانية لجمع الفتات، القدس ضمتها إسرائيل (في خرق آخر للقانون الدولي)، كما ابتلع الاحتلال هضبة الجولان السورية.

بعد معاهدات السلام استمرت إسرائيل في الادعاء بأن الجيش المصري لا يستطيع تحرير سيناء بالكامل، واضطرت القاهرة إلى التفاوض وتوقيع اتفاقيات السلام لاستعادة شبه الجزيرة. وبتناهي الإسرائيليين بغطرسه بأن العرب تعلموا درس جيداً وأن إسرائيل ستقاتل وأنهم لا يستطيعون الحصول على شيء منها إلا من خلال المفاوضات.

ومن المؤسف أن الصهانية العرب يتفقون مع هذه الادعاءات، وموقفهم الحالي جريمة في حق الشعب العربي ونضاله وبطولته وأمنه ومصالحه. لقد ضعفت ثقة الشعوب بنفسها، وانخفضت معنوياتها عندما يتم المبالغة في قوة الكيان الصهيوني.

ستظل إسرائيل الصهيونية العدو التاريخي للشعوب العربية، مهما سعى حكامها إلى "تطبيع" علاقاتهم مع النظام في تل أبيب. وسيظل التطبيع مرفوضاً من الجماهير.

<https://www.middleeastmonitor.com/20241007-october-loves-us-and-we-love-october>

